الإمام الجويني ومنهجه في نقد التوراة والإنجيل

من خلال كتابه شفاء الغليل

.....

أ. م. د. وسام حسين سلمان

جامعة سامراء / كلية التربية / قسم علوم القران الكريم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد برع المسلمون في وقت مبكر في دراسة الأديان ونقدها؛ حيث نشطت الحركة الفكرية على يد المعتزلة وغيرها من المدارس الفكرية التي ظهرت في وقت مبكر من التاريخ الإسلامي مستمدين ذلك من القرآن الكريم الذي تحدث عن الأديان والشرائع السماوية ولا سيما اليهودية والمسيحية منها، محاوراً عقائدها وأفكارها عبر مراحلها التاريخية المختلفة، وازداد ذلك بعد عصر الفتوحات واختلاط المسلمين باليهود والنصارى وغيرهم، حيث زاد النشاط الفكري والتبادل الثقافي، فزادت معهما دواعي التأليف. وممن برع في هذا الوقت في علم الأديان ونقدها الجاحظ، المولود سنة ١٥٩هـ؛ حيث ألّف رسالة في الرد على النصارى، والورّاق المتوفى سنة ٢٤٧هـ؛ حيث ألّف رسالتين في الرد على النصارى والرد على المجوس، ثم تبعهم إمام النقد ابن حزم الأندلسي في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل). بعدها توالت الكتابات في هذا العلم ليكون علماء الإسلام هم أوّل من برع فيه، وليس علماء الغرب كما يقال؛ لأن كتاباتهم في نقد الأديان نشطت في القرن السابع عشر الميلادي على يد الفرنسي ريتشارد سيمون وغيره، أما من ذهب إلى أن علم نقد الأديان بدأ على يد المؤلف اليهودي حيوي البلخي، فأقول إنه لم يسبق الجاحظ في كتاباته مع إن كتابه الوحيد في نقد الكتاب المقدس الذي أُلف في نهاية القرن التاسع الميلادي لم يصل إلينا، بل ذكره بعض من ترجم له واستدل بمقتطفات من نصوص منسوبة إليه.

وممن برع من المسلمين في هذا العلم هو الإمام أبو المعالي الجويني إمام الحرمين (رحمه الله) في كتابه (شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من تبديل) الذي حققه الدكتور أحمد حجازي السقا، فأحببت أن أكتب عن منهجه من خلال كتابه هذا، فجاء عنوان البحث (الإمام الجويني ومنهجه في نقد التوراة والإنجيل من خلال كتابه شفاء الغليل)، وقد قسمته إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة فقد بينتُ فيها أن المسلمين هم أول من برع في هذا العلم، وليس علماء الغرب كما هو مشاع، وممن برع فيه الإمام الجويني (رحمه الله).

ثم جاء المبحث الأول في ترجمة الإمام الجويني، وقد قسمته على مطلبين، الأول عن حياته الشخصية والثاني عن حياته العلمية.

أما المبحث الثاني، فكان منهجه في نقد التوراة، وقسمته على ثلاثة مطالب، المطلب الأول: التعريف بالتوراة، والمطلب الثاني: نسخ التوراة، والمطلب الثالث: منهج نقد التوراة عنده (رحمه الله).

أما المبحث الثالث، فكان منهجه في نقد الإنجيل، وقسمته على ثلاثة مطالب أيضاً، المطلب الأول: التعريف بالإنجيل، والمطلب الثاني: تعدد الأناجيل، والمطلب الثالث: منهج نقد الإنجيل عنده (رحمه الله).

وأخيراً الخاتمة التي اودعت فيها أهم ما جاء في البحث.

المبحث الأول
حياة الإمام الجويني

المطلب الأول
حياة الإمام الجويني الشخصية

أولاً: اسمه ونسبه ولقبه وكنيته

هو أبو المعالي عبد الملك ابن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيوية الطائي السنسبي[١].هو ابن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيوية الجويني[٢].

أما ألقابه فأشهرها الفقيه الشافعي الملقب بضياء الدين المعروف بإمام الحرمين وقد أطلق عليه لقب إمام الحرمين لمجاورته وتدريسه في الحرمين الشريفين. ويلقب أيضا بضياء الدين ولعل ذلك يرجع إلى صحة استدلالاته وسلامة المنطق العقلي الذي استند إليه في آرائه. ولقب بالفقيه الشافعي كونه أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي[٣]، كما نجده لُقّبَ بإمام المشرق كله في الفقه والأصول والكلام وبما أنه جمع بين مختلف العلوم الفقهية التي كانت مساهمة بدورها في إبراز شخصيته أطلقت ألقاب إضافية منها: الفقيه، المجتهد الأصولي، علامة المشرق، العالم الزاهد، المتواضع، التقي[٤].

ثانياً: مولده

اجمع المترجمون للإمام الجويني على أن مولده كان في تسعة عشر وأربعمائة من الهجرة وبالضبط في الثامن عشر من محرم الموافق لثمانية وعشرين وألف للميلاد وفي هذا يقول ابن الملقن "ولد إمام الحرمين الجويني سنة تسعة عشر وأربعمائة" وهو التاريخ المتفق عليه لدى العديد من المؤرخين[٥] رغم أن بعضهم أو القليل منهم يرى أنه ولد في سنة سبعة عشر وأربعمائة.

ثالثاً: أسرته

ينتمي الإمام الجويني إلى بيت علم وفضل، حيث كان أبوه فقيها، محدثا، صاحب تصانيف جليلة، وكان جده مرموقا في جوين، ذا فضل وأدب، ولذلك قال عنه ابن عساكر: "رباه حجر الإمامة، وحرك ساعد السعادة مهده وأرضعه ثدي العلم والورع، إلى أن ترعرع فيه ونبغ"[٦]. قرأ الأدب على والده يوسف بجوين وبرع في الفقه وصنف في التصانيف المفيدة وشرح الرسالة للشافعي، كان ورعاً، دائم العبادة.[٧].

وكان عمه أبا الحسن علي ابن يوسف الجويني، المعروف بشيخ الحجاز، صوفياً، فاضلاً، مشتغلا بالعلم والحديث، صنف كتاباً في علوم الصوفية مرتباً سماه كتاب السلوة، فجده أديب مرموق، وعمه صوفي محدث، ووالده فقيه عابد[٨].

وقيل أن والده كان في أول الأمر ينسخ بالأجرة، وأنه جمع من ذلك ما اشترى به جارية صالحة، ولم يزل يطعمها من كسب يديه حتى حملت به، فلما ولدته حرص أن لا يطعمه ما فيه أدنى شبهة[٩]. وهكذا اختارت له العناية الإلهية بيتاً صالحاً ومهداً نقياً يرعاه والده الإمام بن الإمام، ويلحظه عمه الصوفي المحدث، العالم، وتكفله أمه بالحلال المصفى[١٠].

رابعاً: صفاته وأخلاقه

لقد حبا الله الإمامَ الجويني صفات عالية وأخلاقاً سامية، هيأت له تلك المنزلة التي شغلها بين العلماء، وجعلته جديراً بالمكانة التي اعتلاها بين الحكماء، فكان (رحمه الله) متواضعاً جداً، رقيق القلب، يبكي إذا سمع بيتاً أو تفكر في نفسه أو خاض في علوم الصوفية وأرباب الأحوال ولم يكن يستصغر أحداً حتى يسمع كلامه فإن أصاب استفاد منه، وعزا الفائدة إليه وإن كان صغير السن، وإن لم يرض بكلامه بيّن زيفه ولم يجاريه وإن كان أباه[١١].

كما تميز بصبر ودأب نادرين في طلب العلم والبحث، فمع أنه أقعد للتدريس مكان أبيه إلا أن ذلك لم يشغله عن البحث والدرس. "فكان يقيم الرسم، في درسه، ثم يخرج منه إلى مدرسة البيهقي، يتتلمذ على أبي القاسم الاسكاف"[١٢]. وكان يبكر قبل الاشتغال بالدرس بنفسه إلى مسجد الأستاذ أبي عبد الله الخبازي، يقرأ عليه القراءات، ويقتبس من كل نوع من العلوم. وكان يقول (رحمه الله): أنا لا أنام، ولا أكل عادة، وإنما أنام إذا غلبني النوم ليلا كان أو نهارا وآكل إذا اشتهيت الطعام أي وقت كان[١٣].

وقد اتجه إلى الصوفية اتجاهاً أصيلاً غير مفتعل، عن علم لا عن تقليد،؛ فقد وجهته هذه الوجهة النتائج التي حصل عليها من دراسته لكل ما درس من العلوم، ووجد أن كل ما يوصله إليه العقل، لا يحقق لذة المعرفة التي يبغيها، ولذا عاد إلى القلب واعتمده وسيلة العلم وطريق المعرفة[١٤].

أما كرمه وسخائه، فقد كان مضرب المثل، لم يشغل بمال يثمره ولا براتب يدخره، بل رووا أنه "كان ينفق من ميراثه، ومن معلوم له على المتفقهة[١٥].

خامساً: وفاته

ظل إمام الحرمين مجاهدا في دين الله، ناصرا سنة نبيه، حتى أدركه قضاء الله، الذي لا راد له، فمرض وبقي به أيام وبرئ، وعاد إلى الدرس والمجلس، وحصل السرور للخواص والعوام، فلم يكن إلا يسيرا حتى عاوده المرض وغلبت عليه الحرارة، فحمل في محفة إلى قرية من قرى نيسابور، لاعتدال هوائها وخفة مائها، والتي تدعى بشتنقان(١٦).

ولقد اتفق المؤرخون لحياة الإمام الجويني على أنه توفي ليلة الأربعاء بعد صلاة العشاء في الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٤٧٨هـ وله تسع وخمسون سنة(١٧) ويوافقه في السنة الميلادية خمس وثمانون بعد الألف، ودفن في داره، ثم نقل بعد سنين إلى مقبرة الحسين، فدفن إلى جانب والده، وكسر منبره في الجامع، وأغلقت الأسواق، ورثوه بقصائد، وكان له نحو أربعمائة تلميذ، وكسرو محابرهم وأقلامهم، وأقاموا على ذلك حولا.

وقال ابن خلكان في تاريخه: "وصلى عليه ابنه ابو القاسم بعد جهد جهيد"(١٨)، ومن بين ما رثي به قول بعضهم:

قلوب العالمين على المقالي ... وأيام الورى شبه الليالي

أيثمر غصن أهل العلم يوماً ... وقد مات الإمام أبو المعالي(١٩)

المطلب الثاني
حياة الإمام الجويني العلمية

أولاً: طلبه العلم

بدأ إمام الحرمين حياته العلمية من بيته، فقرأ على والده التفسير، والحديث والفقه، والأصول، والأدب، وقرأ عليه جميع مصنفاته، وكان يسجل ما له عليها من ملاحظات(٢٠).

توفي والده وهو دون العشرين، فأقعد مكانه للتدريس، كما سمع الحديث في صباه من مشايخ آخرين في أنواع العلوم حتى ظهرت براعته(٢١). واستمر في تحصيل العلم من صباه إلى شيخوخته، وكان يتحين الفرصة للاستفادة من علماء عصره، حيث أنه في سنة أربعمائة وتسع وعشرون عندما قدم أبو الحسن بن علي بن فضال المجاشعي إلى نيسابور، أخذ إمام الحرمين في قراءة النحو عليه، والتلمذة وكان

عمره وقتئذ خمسين سنة، وكان إمام الأئمة في وقته، ولم يكتف، ولم يتكل الإمام على ما تلقاه من أساتذته وشيوخه، بل كان كثير المطالعة، كما كان يحكي عن نفسه فيقول: "كنت علقت عليه، أي الإسكاف الإسفراييني في الأصول أجزاء معدودة"[٢٢].

وقال رحمه الله: "ما تكلمت في علم الكلام، كلمة حتى حفظت من كلام القاضي أبي بكر اثنتا عشر ألف ورقة".

ويحكى أنه يوما قال للغزالي: يا فقيه فرأى في وجهه التغيير، كأنه استقل اللفظة على نفسه، فقال له: افتح هذا البيت، ففتح مكانا، وجده مملوءاً بالكتب فقال له: ما قيل لي يا فقيه حتى أتيت على هذه الكتب كلها[٢٣].

وذكر ابن عساكر في ترجمة ابن القشيري تلميذ إمام الحرمين: "إن الإمام كان يعتد به، ويستفرغ أكثر أيامه معه مستفيدا منه بعض مسائل الحساب في الفرائض والوصايا"[٢٤].

وقال السبكي: "إن إمام الحرمين نقل عنه – أي عن ابن القشيري – في كتاب الوصية من النهاية"[٢٥].

ثانياً: رحلاته العلمية

تعد الرحلة وسيلة لاستتمام العلم وإكمال المعرفة، وليست محصورة ببلد دون بلد، وكانت لها حظوة عند علماء الحديث أكثر من غيرهم، فلحديث واحد كانوا يقطعون مسافات شاسعة، ويرحلون إلى بلاد بعيدة، وقد أعطي إمام الحرمين، حظاً من ذلك، فقضى عشر سنوات خارج بلده متجولا في بلاد خراسان، وبغداد، والحجاز[٢٦].

فقد رحل إمام الحرمين عن نيسابور، واغتنم تلك الفرصة فأقام ببغداد تارة، وبأصبهان تارة أخرى[٢٧]، وبغير بغداد وأصبهان أحيانا أخرى، ولا شك أن بغداد – برغم تضعضع مركزها السياسي آنذاك – بقيت من أكبر مراكز العلم والعلماء، وقد التقى فيها بأبي محمد الجوهري، وسمع منه الحديث بها، وأما أصبهان فتاريخها معروف، حيث كانت تعد نبع العلوم الإسلامية.

أخذ إمام الحرمين، يتردد بين هاتيك المراكز، يلتقي بالأكابر من العلماء، ويدارسهم ويناظرهم، حتى تهذب في النظر، وشاع ذكره. ثم رحل إلى الحجاز، وهناك جاور بمكة أربع سنوات، يدرس ويفتي ويجمع، طرق المذهب، ويقبل على التحصيل[٢٨].

وذكر ابن خلكان: انه جاور أيضا بالمدينة ومن هنا جاء لقبه الذي عرف به إمام الحرمين، وكان سنّه إذ ذاك يقرب الأربعين[٢٩]، وهناك في الحرم، أضاء له نور قلبه، وبهداه أبصر، فكانت فترة مجاهدة للنفس، وإعلاء للروح والقلب، وكان لها أبعد الأثر في حياة إمام الحرمين، واتجاهه إلى التصوف، في آخر أمره.

ولم تكن هذه كل رحلاته، فقد روي انه خرج إلى أصبهان، في أعلى ما كان من أيامه[٣٠].

عاد إمام الحرمين إلى بلده نيسابور، عام ست وخمسون وأربعمائة للهجرة، وبنيت له المدرسة النظامية في نيسابور، حيث تولى الخطابة بها، وكان يجلس للوعظ والمناظرة[٣١].

ثالثاً: شيوخه وتلاميذه

أ- شيوخه:

١. والده: تبين لنا من خلال ترجمته، أنه تلقى الفقه أولا على يد والده، وكان أثر أبيه عليه كبيراً، إذ لقب "بركن الإسلام"[٣٢]. فوالده الإمام أبي محمد صاحب التفسير الكبير والتبصرة والتذكرة ومختصر المختصر، وشرح المزني، وشرح الرسالة للشافعي، وأتى على جميع هذه المصنفات وقلبها ظهرا لبطن، وتصرف فيها، وخرَّج المسائل، بعضها على بعض[٣٣].
٢. الأستاذ أبي القاسم الإسكاف أحد كبار الأشعرية (ت٤٥٢هـ) بمدرسة البيهقي[٣٤]، فتلقى عنه الكلام والأصول، وتخرج بطريقته، ويبدو أنه سار على منهجه في السلوك أيضاً[٣٥].
٣. أبو بكر البيهقي النيسابوري (وهو احمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى المتوفي سنة ٤٨٥هـ)، وكان له أثره البالغ أيضا على إمام الحرمين حتى وصفه بأنه (ما من شافعي إلا وللشافعي في عنقه منّة إلا البيهقي فإنه له على الشافعي منّة لتصانيفه في نصرته لمذهبه وأقاويله)[٣٦].
٤. وسمع الحديث من أبي بكر، احمد بن محمد، بن الحارث الأصبهاني التميمي، كما سمع من أبي سعد، عبد الرحمان بن حمدان النيسابوري النصروي، وأبي حسان محمد بن احمد المركزي ومنصور بن رامش.[٣٧] ومن أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن يحي المزكي، وسمع سنن الدارقطني من أبي سعد عبد الرحمان بن الحسن بن عليك، وسمع من أبي عبد الرحمان محمد بن عبد العزيز النيلي[٣٨]. ومن أبي عبد الله الخبازي شيخ القراء في وقته [٣٩].
٥. وأما النحو، فقد درس كتاب "إكسير الذهب في صناعة الأدب"، على مؤلفه الشيخ أبي الحسن، علي بن فضال بن علي المجاشعي[٤٠].

هؤلاء الأئمة الأعلام، هم الذين ذكرت الكتب أن إمام الحرمين تتلمذ عليهم ولا شك أن هناك غيرهم كثير.

ب- تلاميذه:

١- الغزالي:

أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الملقب بحجة الإسلام، حضر درس إمام الحرمين، وجدّ واجتهد، حتى تخرج عليه وفاق أقرانه، ودرّس بنظامية بغداد، فحضر عنده رؤوس العلماء ومنهم أبو الخطاب وابن عقيل(٤١)، ويبدو تأثره بالجويني واضحاً في كتابه، "فضائح الباطنية" حيث نجد كثيراً من الأفكار والألفاظ المتشابهة كتلك التي يستخدمها إمام الحرمين، وأحياناً بألفاظها نفسها، وكان الغزالي وفياً لأستاذه، فقام باختصار كتاب في الفقه لإمام الحرمين، وهو كتابه في الفقه "نهاية المطلب"، توفي سنة ٥٠٥هـ(٤٢).

٢- الكيا الهراسي:

هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري. تفقه على إمام الحرمين، قال عنه عبد الغافر الفارسي: "وكان ثاني الغزالي، بل أملح وأطيب في النظر والصوت، وأبين في العبارة والتقرير منه، وإن كان الغزالي أحد وأصوب خاطراً، وأسرع بياناً وعبارة منه(٤٣).

٣- ابن القشيري:

الإمام أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوزان القشيري. انتقل بعد وفاة أبيه إلى مجلس إمام الحرمين، وتفقه عليه، وكان إمام الحرمين يعتد به، ويستفيد منه بعض مسائل الحساب. وصفه عبد الغافر الفارسي بإمام الأئمة وحبر الأمة، وقال: "وقلما كان يخلو مجلسه من إسلام إمام جماعة من أهل الذمة(٤٤). صنف "المقامات والآداب" في التصوف والوعظ توفي سنة ٥١٤هـ(٤٥).

٤- أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي النيسابوري:

تفقه على إمام الحرمين ولازمه أربع سنوات، سمع الحديث على أبي القاسم القشيري وعلى والديه، وعلى جدته فاطمة بنت أبي علي الدقاق، وجماعة كبيرة سواهم. توفي سنة ٥٢٩هـ(٤٦).

٥- الخوّافي:

الإمام أبو المظفر أحمد بن محمد بن المظفر النيسابوري، الفقيه الشافعي تفقه على إمام الحرمين ولازمه، فكان من عظماء أصحابه وأخصاء طلابه. وكان إمام الحرمين يثني على حسن مناظرته، درّس في حياة إمام الحرمين. ولي قضاء طوس، تفقه عليه عمر القطان ومحمد بن يحي وغيرهما، توفي بطوس سنة (٥٠٠هـ)(٤٧).

رابعاً: مذهبه في الفقه

ينتسب الإمام الجويني إلى مذهب إمامه الشافعي (٢٠٤هـ)، ومع قدرته العالية في الاجتهاد، وبرغم مخالفته للإمام الشافعي في بعض الأحيان، إلا أنه بقي على مذهبه. قال: وقد شهدت بصحة مذهبه الأخبار الصحيحة، والنصوص الصريحة، وسير الخلفاء، ومذاهب العلماء قبل ظهور اختلاف الآراء[٤٨].

خامساً: مذهبه في الاعتقاد

كان إمام الحرمين أشعري العقيدة، وعلى هذا جميع مؤلفاته[٤٩]، ويعد من الأتباع الأقوياء لأبي الحسن الأشعري، الذين أخذوا مذهبه ودعوا إليه، ودعموه بالأدلة والبراهين[٥٠].

وبعد وفاة الأشعري بمدة تزيد على مائة عام نجح الجويني في أن يجمع حوله أتباع المذهب الأشعري، ومنهم الغزالي، وقد سار الجويني في أهم أفكاره على نهج شيخه كما سماه هو بنفسه في مؤلفاته.

أضاف إلى علم التوحيد دعائم فكرية عميقة، حتى قيل أن المذهب الأشعري بدأ منذ عهده[٥١]. ويعد أول من بنى طريقة فقهية شافعية على أساس المذهب الأشعري، وقد عرضها في كتابه "الإرشاد في أصول الاعتقاد"[٥٢]، كما تبدو أشعريته واضحة في كتاب "التلخيص في أصول الفقه[٥٣].

ومنه نستخلص أن إمام الحرمين تابع منهج أسلافه من الأشاعرة، وقد توثقت في شخصه الصلة بين الأشاعرة كمذهب كلامي وبين الشافعية كمذهب فقهي[٥٤].

سادساً: مؤلفاته

صنّف الإمام الجويني (رحمه الله) كتباً كثيرة في الفقه والأصول وعلم الكلام والسياسة والشرع والجدل؛ ففي الفقه: نهاية المطلب في دراية المذهب، ومختصر النهاية، ومختصر التقريب، والرسالة النظامية في الأركان الإسلامية. وفي أصول الفقه: البرهان، والورقات، والغنية، والتحفة، والتلخيص. وفي الجدل: العمدة، والدرة المضية فيما وقع من الخلاف بين الشافعية والحنفية، والكافية في الجدل، والأساليب في الخلاف. وفي علم الكلام: الشامل في أصول الدين، والإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ولمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة، والعقيدة النظامية في الأركان الإسلامية. وفي السياسة: غياث الأمم في التياث الظلم[٥٥].

أما كتابه: شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من تبديل، فهو كتاب مختصر في علم الجدل، بيّن فيه (رحمه الله) أن التوراة التي بيد اليهود الآن هي التوراة التي كتبها عزرا الورّاق وليست التوراة

الحقيقية، بل المحرّفة لفظاً ومعنىً، كما بيّن (رحمه الله) أن ما وقع في التوراة وقع كذلك في الإنجيل أي أنه محرّف في اللفظ والمعنى.

والكتاب حققه وعلق عليه الأستاذ الدكتور أحمد حجازي السقا، وقامت بنشره المكتبة الأزهرية للتراث.

المبحث الثاني
منهج الأمام الجويني في نقد التوراة

المطلب الأول
التعريف بالتوراة

التوراة كلمة عبرية معربة تعني التعليم او الشريعة، وتطلق هذه التسمية على الأسفار الخمسة الاولى من التوراة، والمنسوبة الى النبي موسى عليه السلام[٥٦]، وقد تطلق التوراة على جميع اسفار العهد القديم من باب إطلاق الجزء على الكل، ولأهميتها ونسبتها الى النبي موسى عليه السلام[٥٧].

يؤمن اليهود بشكل عام بأسفار التوراة، ويزعمون أن هذه الأسفار قد وصلت إليهم بواسطة أنبيائهم الذين بعثوا إليهم قبل عيسى (عليه السلام)، فهي عندهم وحي وتنزيل، يستمدون منها عقيدتهم وتشريعاتهم ونظمهم وأخلاقهم ويستندون إليها في معرفة تاريخهم وأيامهم[٥٨]. ويقسم العهد القديم أو التوراة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الاول: الأسفار الخمسة أو ناموس موسى أو التوراة، وهي: التكوين، والخروج، واللاويون، والعدد، والتثنية.

القسم الثاني: أسفار الأنبياء أو الأسفار التاريخية، وهي يشوع، والقضاة، وصموئيل الاول وصموئيل الثاني، والملوك الأول، والملوك الثاني، وأشعيا، وأرمياء، وحزقيال، وهوشع، ويوئيل، وعاموس، وعوبديا، ويونان، وميخا، وناحوم، وحبقوق، وصفنيا، وحجي، وملاخي.

القسم الثالث: الكتب أو المؤلفات أو الأناشيد والأسفار الشعرية، وهي: المزامير والأمثال، وأيوب، ونشيد الإنشاد، وراعوث، والمراثي، والجامعة واستير، ودانيال، ونحميا، وعزرا، وأخبار الأيام الأول، وأخبار الأيام الثاني[٥٩]. وبجانب هذه الأسفار أضافت الترجمة الكاثوليكية أسفاراً أخرى كان اليهود يسمونها بالأسفار غير القانونية أو الأسفار الخفية أو الابوكريفا، التي تعدّ غير مقدسة ولا معتمدة في نظر اليهود، وهي: طوبيا، ويهوديت، والمكابيون الأول، والمكابيون الثاني، والحكمة وياروك ويشوع بن سيراخ[٦٠].

المطلب الثاني

نسخ التوراة

يقرر التاريخ ان النبي موسى (عليه السلام) كتب نسخة من التوراة ووضعها مع الالواح في تابوت العهد، ومرت الأيام ببني اسرائيل في ظل متغيراتٍ كبيرة مروا بها بعد وفاته من قتل وتدمير وتشريد على يد أقوام متعددة ليأتي عهد النبي سليمان (عليه السلام) الذي فتح التابوت بعد وضعه في الهيكل الذي بناه، فإذا به يخلو في أي نسخة من التوراة وبهذا تبين ان لا وجود للتوراة الحقيقية، واستمر الاضطهاد والتدمير فيهم بعد النبي سليمان (عليه السلام)[٦١] ومن ذلك أسرهم وسبيهم إلى بابل في عهد ملكها نبوخذنصر، وخلال هذه الفترة ظهر فيهم بعض الانبياء والكثير من الدعاة والكهنة من بينهم الكاهن عزرا الذي كتب التوراة خوفاً من انصهار اليهود في الحياة الاجتماعية لبابل، وأملاً في العودة إلى فلسطين[٦٢]، وبعد سقوط بابل على يد الفرس أذن قورش ملك الفرس لهم بالعودة الى فلسطين، فعاد قسم منهم من بينهم عزرا الكاهن حيث بدأ بتنظيم أحوال قومه، فحدث نزاع بينه وبين السامريين إذ اتهموه بتحريف التوراة، والذي تسبب بانفصالهم عن العبرانيين الى اليوم، وتدوينهم توراة اخرى سميت بالتوراة السامرية[٦٣] وبهذا ظهرت نسخة أخرى للتوراة. وفي عهد البطالسة قامت جماعة من اليهود بترجمة التوراة العبرية الى اليونانية، فقد طلب بطليموس من إليعازر رئيس الكهنة أن يرسل اثنين وسبعين عالماً من علماء التوراة، ستة من كل سِبْط لترجمة أسفار موسى الخمسة الى اليونانية، فنُفذ الطلب وتمت المهمة خلال اثنين وسبعين يوماً[٦٤]، وبهذا ظهرت النسخة الثالثة للتوراة المعروفة بالسبعينية.

وبمضاهاة النسخ الثلاث بعضها مع البعض كشف عن اختلافها في مواضيع عديدة، كالاختلاف في عدد الأسفار؛ فالسامرية تحتوي على أسفار موسى الخمسة، ويضاف لها أحياناً سفري يوشع والقضاة، أما العبرية التي بيد سائر اليهود فتحتوي على تسعة وثلاثين سفراً، وهي المعتمدة كذلك عند البروتستانت، أما النسخة السبعينية التي بيد الكاثوليك والأرثوذكس فتحتوي على ستة واربعين سفراً[٦٥] والاختلاف بين التشريعات والقصص والاسلوب الأدبي وغيرها.

المطلب الثالث

معايير نقد التوراة

علم نقد التوراة: هو العلم الذي يهدف الى دراسة نصوص التوراة باعتبارها نصوصاً تاريخية، وتطبيق المعايير عليها كالنصوص التاريخية الاخرى(٦٦).

ويهدف هذا العلم الى اكتشاف التناقضات التي توجد بين نسخها ونصوصها، وعدم الاتساق فيما بينها، وتحليلها، كما يهدف الى ابراز وتوضيح المشاكل الخاصة بنصوص التوراة كالعقائدية والتشريعية والسلوكية وغيرها(٦٧).

بدأ هذا العلم عند المسلمين على يد ابن حزم الاندلسي من خلال كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل، وابي حامد الغزالي، والقرطبي، وشهاب الدين القرافي، وأبي المعالي الجويني من خلال كتابة شفاء الغليل، وغيرهم كثير، وكلٌ له منهجه في وضع معايير نقد النصوص ما بين مسهب ومجتزل، والإمام الجويني كان من الصنف الثاني الذي اكتفى بالاجتزال وعدم الاكثار، معللاً ذلك بقوله: (وإنما اعرضت عن الاكثار من ذلك حين ذكرت منها، ما تقدم الحجة على الخصوم(٦٨). لقد استند رحمه الله على دليلين لإثبات تحريف التوراة، وعلى انها ليست التوراة التي انزلها الله على نبيه موسى عليه السلام.

الدليل الاول: تعدد نسخ التوراة

يقول رحم الله ان التوراة التي بيد اليهود هي التوراة التي كتبها عزرا الوراق بعد فتنتهم مع نبوخذنصر وقتله جموعهم وطوائفهم، قبل بعثة المسيح عليه السلام بخمسمائة وخمس واربعين سنة ولم يكن على وجه الارض نصراني، فحينئذ التبديل ممكن، لعدم تعلق العلم بحصر نسخ التوراة المبثوثة في إقطار الارض، كما ذكر، ولعدم توقفه على انقياد كل فرد من افراد الفريقين، ولعدم كون نسخها في ايدي اليهود والنصارى، لأنها لم تصل الى أيدي النصارى الا بعد تبديلها(٦٩)، وكل من الفريقين يدعي صحة ما عنده وخطأ ما عند غيره، معللا سبب الاختلاف أن النصارى تزعم أن نصوص الثورة شاهدة بإرسال المسيح (عليه السلام) في الزمن الذي ارسل فيه، وربما بأيديهم من نسخ التوراة شاهد بصحة ما زعموه، ويزعمون أن اليهود بدلو ما بأيديهم من نسخ التوراة عناداً وحذراً، من الاعتراف بإرسال المسيح (عليه السلام)، واليهود يزعمون أن النصارى بدلوا ما بأيديهم من النسخ، وأن المسيح (عليه السلام) إنما يأتي في آخر الدور السابع، وما بأيديهم من نسخها موافق لما ادعوه(٧٠). وعلى هذا اجمع الفريقان على القول بالتبديل.

الدليل الثاني: الاختلافات بين النسخ

إن المطلّع على نسخ التوراة يجد ان هناك كثيراً من الاختلافات، كالاختلاف في عدد الاسفار، والازمنة التاريخية للأحداث، وأماكن وقوعها، واستبدال الكلمات وتقديم وتأخير الآيات وزياداتها ونقصانها، وغيرها(٧١). ولقد اكتفى الامام الجويني بالاستدلال على الاختلاف في بعض التواريخ بين النسخة العبرية واليونانية، منها: يقول رحمه الله: وفي التوراة التي بيد اليهود أن آدم عليه السلام حين أتى عليه مائة وثلاثون سنة ولد له شيت، أما التي بيد النصارى انه لما اتى عليه مائتان وثلاثون سنه ولد له شيت، وفي اليهودية أن شيتاً حين مضى عليه ستمائة سنه ولد له انوش، وفي النصرانية سبعمائة سنة.

وفي اليهودية إن أنوش حين مضى عليه تسعون سنة ولد له قينان، وفي النصرانية مائة وتسعون سنة.

وفي اليهودية أن قينان حين مضى عليه سبعون سنة ولد له مهللئيل، وفي النصرانية مائة وسبعون سنة.

وفي اليهودية ان مهللئيل حين عاش خمساً وستين سنة ولد له يارد، وفي النصرانية أن يارد ولد حين اتى على مهللئيل مائة وستون سنة واتفقت النسخ التي بأيدي الطائفتين على عمر يارد حين ولد له اخنوخ(٧٢).

والصحيح انه لم تتفق النسخ في هذا ففي العبرية مائة واثنان وستون وفي السامرية اثنان وستون وفي اليونانية مائتان واثنان وستون(٧٣).

وفي اليهودية أن اخنوخ حين أتى عليه خمس وستون سنه ولد له متو شالح وفي النصرانية أن متو شالح ولد حين أتى على اخنوخ مائة وخمس وستون سنة. واتفقت النسخ على عمر متو شالح حين ولد له لامك(٧٤)، وعلى عمر لامك حين ولد له نوح عليه السلام(٧٥). والصحيح انها لم تتفق؛ ففي العبرية مائة واثنان وثمانون، وفي السامرية ثلاث وخمسون، وفي اليونانية مائة وثمان وثمانون(٧٦). واتفقت النسخ على عمر نوح حين ولد له سام(٧٧) خمسمائة سنة(٧٨) وليس ستمائة سنة كما جاء في إظهار الحق والموسوعة المفصلة(٧٩). وكذا وقع الاتفاق على أن ساماً حين ولد له ارفكشاد وكان عمره مائة سنة(٨٠). وفي كتب النصارى القديمة المنقولة عن الحواريين مخالفة لجميع ذلك(٨١). ثم عاش ارفكشاد خمساً وثلاثين سنة وولد له شالح وعاش بعد ذلك اربعمائة سنة وثلاث سنين، وفي اليهودية أن شالح عاش ثلاثين سنة وولد له عابر وأن مدة حياة شالح أربعمائة وثلاثون سنه وفي النصرانية أن شالح عاش مائة وثلاثون سنة وولد له عابر وأن مدة حياته أربعمائة وستون سنة. وفي اليهودية أن عابر لما بلغ اربعاً وثلاثين سنة ولد له فالج، وفي النصرانية لما بلغ مائة وأربعاً وثلاثين سنة، وفي اليهودية أن فالجاً لما بلغ ثلاثين سنة ولد له رعو وفي النصرانية مائة وثلاثين سنة، وفي اليهودية أن رعو حين بلغ اثنتين وثلاثين سنة ولد له سروج، وفي النصرانية حين بلغ مائة واثنين وثلاثين سنة. وفي اليهودية أن سروج حين بلغ ثلاثين سنة ولد له ناحور وفي النصرانية حين

بلغ مائة وثلاثين سنة. وفي اليهودية إن ناحور حين عاش تسعاً وعشرين سنة ولد له تارح، وفي النصرانية حين بلغ تسعاً وسبعين سنة وهو أبو إبراهيم عليه السلام[٨٢].

فانظر إلى قبح هذا الاختلاف وغرابته بين هاتين الطائفتين في أمر ليس من قبيل المظنونات التي تختلف باختلاف مآخذ العلماء، الناشئة عن اختلاف مراتب الظنون، بل كل طائفة تزعم أن ما بيدها هو منزّل على النبي موسى عليه السلام، أما مخالفة التوراة السامرية ومباينتها لسائر النسخ التي بأيدي من عداهم من الطوائف، فلو اقتصر عليه لكان فيه ثبت لمن يقول بوقوع التبديل[٨٣].

المبحث الثالث

منهج الامام الجويني في نقد الانجيل

المطلب الأول

تعريف الانجيل

الانجيل كلمة من أصل يوناني هي (انكليون) معربة تعني البشارة والتعليم[٨٤] او البشرى السارة[٨٥] او الخبر السعيد[٨٦] او البشارة المفرحة، وهي البشارة بوجود مخلص للعالم وهو يسوع المسيح، فالإنجيل هو انجيل المسيح وإن كان اسمه بحسب مؤلفه[٨٧]، ولفظ الانجيل مختص بالكتب الأربعة، متى ومرقس ولوقا ويوحنا، وقد نطلق على جميع اسفار العهد الجديد من باب اطلاق الجزء على الكل ولأهميتها[٨٨].

يعتقد النصارى ان العهد الجديد مثل العهد القديم موحى به من الله. جاء من وثائق المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني: ان ما تتضمنه وتعرضه الكتب المقدسة من حقائق موحاة مكتوب كله بوحي من الروح القدس، وتؤمن أمُّنا الكنيسة بموجب الايمان الرسولي ان كتب العهدين القديم والجديد كلها وبجميع أجزائها مقدسة وقانونية، فالله هو مؤلفها مكتوبة بوحي من الروح القدس، والعهد الجديد كتب باللغة اليونانية؛ لأنها اللغة السائدة آنذاك، والتي كان يفهمها معظم البشر[٨٩].

يقسم العهد الجديد او الانجيل الى أربعة أقسام رئيسية وهي:

القسم الاول: الأناجيل الأربعة وهي: متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا، وكل منهم يحكي قصه المسيح من منضور معين[٩٠].

القسم الثاني: سفر أعمال الرسل، وينسب هذا السفر إلى لوقا صاحب الانجيل الثالث، وفيه يحكي لوقا ان المسيح يسوع ارسل الروح القدس حتى يواصل عمل المسيح على الأرض بعد أن صعد يسوع الى السماء[٩١].

القسم الثالث: الاسفار التعليمية او الرسائل، وهي على قسمين:

١. رسائل بولس الرسول، وهي اربع عشرة رسالة، الاولى الى العبرانيين، والثانية الى رومية (روما) والثالثة والرابعة الى كورنثوس، والخامسة الى غلاطية، والسادسة والسابعة والثامنة إلى افسس وفيلبي وكولوسي، والتاسعة والعاشرة الى تسالونيكي، والحادية والثانية والثالثة والرابعة عشر الى تيموثاوس وتيطس وفليمون[٩٢].

٢. الرسائل الجامعة: وهي رسائل تحمل اسماء كتّابها، كتبت للكنائس والمؤمنين، مجموعها سبعة رسائل، الاولى رسالة يعقوب، والثانية والثالثة رسالتا بطرس، والرابعة والخامسة والسادسة رسائل يوحنا كاتب الانجيل، والسابعة رسالة يهوذا(٩٣).

القسم الرابع: سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي، او سفر النبوة، وتنسب الى صاحب الانجيل الرابع، وهي رؤيا منامية(٩٤).

المطلب الثاني
تعدد الاناجيل

تؤكد المصادر التاريخية انه قد تم كتابة عدد كبير من الاناجيل والتي اوصلها البعض الى مئات الاناجيل والتي تم الغاء الاعتراف بها واعتبارها غير قانونية ومفتعلة وذلك في مقررات المجامع الكنيسية كإنجيل أريوس، وبرنابا، والديداكي وغيرها، كونها تخالف عقيدة بولس الرسول التي اصبحت العقيدة الرسمية بعد تحول المسيحية اليها في عهد قسطنطين والذي امر بإبقاء اربعة اناجيل تم اختيارها من بين هذه الاناجيل الكثيرة كونها موافقة للعقيدة الجديدة التي تم الاتفاق عليها في مؤتمر " نيقية" لعام (٣٢٥م)(٩٥).

وهذه الاناجيل هي:

أولاً: انجيل متّى: متّى احد الحواريين الاثني عشر وكتب انجيلهُ مرتباً حسب الموضوعات ودوّنه في اربعينيات القرن الميلادي الأول، وقيل ما بين سنة ٦٠و٧٠ ميلادية(٩٦)، باللغة الآرامية وهي نسخة لا وجود لها لان اول نسخة ظهرت باللغة اليونانية قيل انها نسخة مترجمة عن النسخة الآرامية مع عدم معرفة المترجم وتاريخ الترجمة(٩٧).

ثانيا: انجيل مرقس: هو الانجيل الثاني في ترتيب الاناجيل بعد متّى وهو أقصر الأناجيل الأربعة. ومرقس هو احد السبعة الذين طافوا في البلاد داعيا للمسيحية، ولم يكن تلميذا مع الحواريين، لم يحدد تاريخ كتابته لإنجيله؛ فقد قيل سنة ٦١ ميلادية وقيل غير ذلك، بل اختلف في كاتبه هل صاحبه أم غيره، وكتب باللغة اليونانية(٩٨).

ثالثا: انجيل لوقا: هو الانجيل الثالث في الترتيب، ولوقا ليس من الحواريين ولا من تلاميذهم، وإنما هو تلميذ بولس وصديقه، يقال انه كان طبيباً وقيل مصوراً، والباحثون ليسوا على علم يقين بمولده، وقيل انه انطاكي وقيل روماني و قيل ايطالي، دوّن هذا الانجيل باللغة اليونانية، واختلف على تاريخ تدوينه فقيل سنة ٦٠ ميلادية و قيل غير ذلك(٩٩).

رابعا: انجيل يوحنا، وهو الانجيل الرابع في الترتيب، كتبه يوحنا الحواري الذي كان يحبه المسيح و يصطفيه كما هو شائع ولقد ذهب الكثير من كتاب المسيحية ان هذا الانجيل لابد ان يكون كاتبه غير يوحنا(١٠٠). ان هذا الانجيل يختلف تماما عن الاناجيل الاخرى في حجمه ونسقه واسلوبه و موضوعاته، ومن ذلك كونه مدح الوهية المسيح وقد اختلف المؤرخون في تاريخ تدوينه؛ فقيل انه دونه سنة ٩٨ ميلادية وقيل غير ذلك(١٠١). ومن المعلوم أن أي كتاب يكتنفه الشك تقل قيمته كمصدر او تنعدم، وهذا ما حصل للأناجيل الاربعة القانونية، فضلاً عن التناقضات والتعارضات الموجودة بين الاناجيل بل وفي الانجيل الواحد وهو أكبر دليل على تحريفها وبطلانها.

المطلب الثالث

معايير نقد الانجيل

ان المطلع على العهد الجديد، وبخاصة الاناجيل الاربعة، يجد ان هناك تناقضاً فيما بينها من جهة، وتناقضها في داخل الانجيل الواحد من جهة اخرى، بل قد يجد في الصفحة الواحدة ما يناقض بعضه بعضاً، ويظهر هذا بوضوح اكثر في توقيت الحوادث والتقديم والتأخير في تاريخ الوقائع والاختلاف في الانساب والاشخاص وغيرها وعلى هذا وضع العلماء جملة من معايير النقد يمكن من خلالها دراسة نقد الانجيل، والتي منها، التناقض بينها وبين التوراة في الشرائع والتنبؤات ووصف الإله، والقصص، وتناقضها فيما بينها في حياة يسوع، وتناقضها مع بقية الرسائل، والاختلاف بين النسخ والترجمات(١٠٢).

ومن هؤلاء العلماء الامام الجويني (رحمه الله)؛ فكما قام بنقد التوراة كذلك نقد الانجيل متبعاً المنهج ذاته من حيث الاختصار وعدم الإطالة مكتفياً ببعض الأدلة على إثبات تحريفه ولا سيما الاختلافات والتناقضات بين الأناجيل الأربعة وفي بعض المواضع. ويرى (رحمه الله) ان السبب في هذا هو غلطهم فيما نقلوه وغفلتهم عما يجب المبادرة إليه زماناً يحصل في مثلها التبديل والنسيان لما طريقه السمع(١٠٣).

الدليل الاول: تاريخ تدوين الانجيل

يرى الامام الجويني (رحمه الله) ان من ادلة تحريف النصارى للإنجيل ان جميع الأناجيل انما وردت بعد رفع المسيح (عليه السلام) فمتّى قد صرح في إنجيله انه ألفه بعد رفع المسيح (عليه السلام) بتسع سنين، أما يوحنا فقد نص في إنجيله انه جمعه بعد رفع المسيح عليه السلام بنيف وثلاثين سنة، اما مرقص فقد صرح في انجيله انه جمعه بعد رفع المسيح (عليه السلام) باثني عشرة سنة، ولوقا صرح في انجيله انه الفه

بعد رفع المسيح (عليه السلام) باثنتين وعشرين عاماً وقيل بعشرين عاماً هذا امر مصرح به في أناجيلهم[١٠٤].

الدليل الثاني: الاختلاف في نسب يوسف النجار

اورد الامام الجويني (رحمه الله) نسب يوسف النجار من انجيلي متّى ولوقا، ثم اثبت الاغلاط التي فيهما والتناقض والاختلاف بينهما، ذلك من وجهتين هما: الغلط في حساب الاجيال والغلط في النسب. اما الغلط في الحساب فإن متّى يقول فجميع الاجيال من ابراهيم الى داوود اربعة عشر جيلاً ومن داوود الى سبي بابل اربعة عشر جيلا ومن سبي بابل الى المسيح اربعة عشر جيلاً[١٠٥].

ومكان الغلط ان من سبي بابل الى المسيح ثلاث عشر جيلاً وليس اربعة عشر جيلاً، وهذا امرٌ معلوم بالضرورة[١٠٦] ومن خلال عدد الأجيال المذكور في النسب.

اما الغلط في النسب فبعد ايراده نسب يوسف من متى عاد وأورد النسب من لوقا، فإذا بهما يختلفان في اسماء الآباء والأجداد، وعلى هذا يقول (رحمه الله): فإن كانا صادقين لزم ان يكون ليوسف أبوان معيلان لأمه، وكذلك الكلام في كل جد من اجداده، وإن كانا كاذبين جاز وقوع التبديل منهما، إما عمداً أو غفلة وحينئذ تسقط الثقة بما نقلاه معتقدين انه الحق، وكيف يصدر الكذب ممن يعتقد فيهما انهما معصومان بروح القدس حين حلت عليهما؟! وإن كان احدهما صادقاً والآخر كاذباً عادت الحالة حين فُرضا كاذبين[١٠٧].

وقد اشتملت الأناجيل على نصوص كثيرة متباينة الأغلاط يتعذر الجمع بين معانيها.

الدليل الثالث: قول المسيح لبطرس ليلة صلبه

ذكر الإمام الجويني (رحمه الله) قول المسيح (عليه السلام) لبطرس الحواري في الليلة التي صلب فيها، وبعض الأحداث التي وردت في سياق القصة، والحكاية ومن خلال انجيل مرقس، ثم قارنها مع ما جاء في انجيل لوقا، مبيناً (رحمه الله) الاختلافات والتناقضات بين الإنجيليين، ففي مرقس ان المسيح (عليه السلام) قال لبطرس قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات[١٠٨]. وفي موضع آخر كان بطرس في الدار أسفل، جاءت إحدى جواري رئيس الكهنة، فلما رأت بطرس يستدفئ، نظرت اليه، وقالت: وأنت كنت مع يسوع الناصري، فأنكر قائلاً: لستُ أدري ولا افهم ما تقولين، وخرج خارجاً إلى الدهليز، فصاح الديك، فرأته الجارية فقالت: إن هذا منهم، فأنكر أيضاً، وبعدها قال الحاضرون: حقاً انت منهم، لأنك جليلي ولغتك تشبه لغتهم فأبتدأ يلعن ويحلف اني لا اعرف هذا الرجل الذي تقولون عنه، وصاح الديك ثانية فتذكر بطرس القول الذي قال له يسوع انك قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات[١٠٩].

وقد ثبت بيانه انه لم يتكامل له جحد الثلاث والديك لم يصح بل لم تكن الثانية والثالثة ألا بعد أن صاح الديك[١١٠].

أما انجيل لوقا فقد جاء فيه أنه لا يصيح الديك اليوم قبل أن تنكر ثلاث مرات أنك تعرفني[١١١]. وأن بطرس تبعه من بعيد وأن النار اضرمت وسط الدار وجلس بطرس بينهم وأن الجارية رأته جالسا عند النار وقالت: هذا كان معهم فأنكر ورآه أخر وقالت انتم منهم، ومضى نحو ساعه فقال آخر: الحق هذا أيضا كان معه فقال بطرس لست اعرف ما تقول وفي الحال بينما هو يتكلم صاح الديك[١١٢]. إن أحد هذين النصين كذب وتقوّل وافتراء لأن مرقس صرح بأن المسيح قال لبطرس قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات، ثم بين انه لم يتكامل له جحد الثلاث، والديك لم يصيح بل صاح مرتين قبل الثالثة. أما لوقا فإنه صرح بأن المسيح قال لبطرس لا يصيح الديك اليوم، قبل أن تنكر ثلاث مرات انك تعرفني، ثم إنه بيّن تكامل جحد الثلاث، والديك لم يصح، والواقعة واحدة، وكذلك زمانها ومكانها، ونسبتها. وعلى الجملة فمتى أتحدت نسبة كل خبر، وتباينا، قطع بكذب احدهما[١١٣].

فانظر إلى هذه العدالة في نقل الأناجيل، ويزعم أن أصحابها معصومون من الخطأ، أو ناقلوها عن المسيح (عليه السلام)[١١٤].

الدليل الرابع : قول المسيح لتلميذيه قرب أورشليم

ذكر الإمام الجويني (رحمه الله) أن الأناجيل الثلاثة متّى ومرقس ولوقا ذكرت حكاية المسيح عليه السلام مع تلاميذه حينما قربوا من القدس. وإن مرقس ولوقا اختلافا مع متى في بعض تفاصيلها، ففي متى أن المسيح (عليه السلام) لما قرب هو وتلاميذه من أورشليم، وجاء إلى بيت فاجي قريباً من جبل الزيتون ارسل اثنين من تلاميذه، وقال لهما :أذهبا إلى القرية التي امامكما، فللوقت تجدان أتاناً[١١٥] مربوطة وجحشاً معها، فحلاهما، وأتياني بهما، وأن قال لكما أحد شيئاً، فقولا: الرب محتاج إليهما، فللوقت يرسلهما، فذهب التلميذان وفعلا كما امرهما يسوع وأتيا بالأتان والجحش، ووضعا عليهما ثيابهما فجلس عليهما[١١٦].

أما في مرقس فإن التلميذين وجدا جحشاً فقط، وأن المسيح عليه السلام جلس عليه وحده[١١٧].

وأما يوحنا فإن يسوع وجد جحشاً فجلس عليه[١١٨].

فاعجب من هذه الواقعة المتحدة نسبتها، كيف تباينت معانيها، واختلفت حكايتها، وأعجب من ذلك غفلتهم من هذه النصوص وأمثالها، وركونهم إلى إن تجميعها جارٍ على السداد حتى لو تفوه أحدٌ منهم بما يوهم خللاً في معانيها حكموا بسخافة عقله[١١٩]!!

الدليل الخامس: المسيح (عليه السلام) عند الصلب

ذكر الإمام الجويني (رحمه الله) بعض ما وقع في حادثة الصلب المزعومة من أحداث، مبيناً الاختلافات والتناقضات بين الاناجيل. يقول (رحمه الله): ذكر متّى وكذلك مرقس أن المسيح عيسى (عليه السلام) حين صلب في زعمهم، أنه صلب معه لصان وكان المجتازون يحذفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين: يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة ايام خلّص نفسك أن كنت ابن الله، وكان اللصان يعيّرانه، وبه قال مرقس كما أنهما اتفقا على أن اللصين كانا كافرين به، سابّين له، ساخرين منه[١٢٠]. أما لوقا فقال: إنهما عاملا شر وإن الشعب واقف ينظر والرؤساء يسخرون به قائلين فليخلص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله وأن احد المذنبين قال: إن كنت انت المسيح فخلص نفسك وإيّانا وكان كافراً به، أما الاخر فانتهره لكونه مؤمناً به، وطلب من المسيح ان يذكره اذا جاء في ملكوته، فقال له يسوع: إنك اليوم تكون معي في الفردوس[١٢١].

ولا شك في تكاذب هذه الوقائع وإن قائليها طالت عليهم الازمان الى ان يقولوا اشياء ليسوا منها على يقين[١٢٢]. وذكر (رحمه الله) ان من تناقضات واختلافات الاناجيل في هذه القصة والحكاية ايضاً أن متّى يقول في إنجيله ان المسيح حين صلب وسلّم الروح اذا حجاب الهيكل قد انشق الى اثنين من فوق الى اسفل والارض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من اجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور ولم يذكر ذلك احد من اصحاب الاناجيل سواه[١٢٣].

الخاتمة

الحمد لله بدءاً وختاماً والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء ورسل الله سيدنا محمد وعلى أله وصحبه اجمعين. وفي خاتمة البحث خرجت اقوال.

ان علم نقد الاديان هو علم اسلامي مستمد من كتاب الله سبحانه وتعالى، برع فيه المسلمون قبل غيرهم.

من الذين برعوا في هذا العلم هو الإمام أبي المعالي الجويني من خلال كتابه (شفاء الغليل)، كما برع في العلوم والفنون الاخرى.

الامام الجويني هو عبد الملك بن الامام أبي محمد عبد الله الجويني، ينسب الى قرية جوين من قرى نيسابور. لقب بإمام الحرمين الشريفين، والفقيه الشافعي، وضياء الدين، ينتمي الى بيت فضل وعلم، حباه الله صفاتاً عالية واخلاقاً سامية.

رحل في طلب العلم عشر سنوات خارج بلده قضاها بين خراسان وبغداد والحجاز، تتلمذ خلالها على يد كبار العلماء بعد والده، كأبي بكر البيهقي، وابي بكر الاصبهاني، وابي الحسن المجاشعي وتتلمذ على يده كبار العلماء كالخوافي والغزالي والكيا الهراسي، تمذهب في الاصول على مذهب الاشعري، وفي الفروع على المذهب الشافعي.

ألّف العديد من الكتب، كالإرشاد في أصول الاعتقاد والتلخيص في أصول الفقه، والبرهان وغيرها.

نقد التوراة والانجيل في كتابه شفاء الغليل، اثبت فيه ان التوراة الموجودة اليوم والتي بيد اليهود هي توراة عزرا الورّاق وليست التوراة الحقيقية، كما اثبت بطلانها من خلال التناقضات والاختلافات بين النسخ المختلفة، العبرية واليونانية والسامرية.

كما قام بنقد الإنجيل وأثبت بطلانه وذلك من خلال المقارنات في القصص والحكايات المختلفة بين الأناجيل الأربعة متّى ومرقس ويوحنا ولوقا، التي تتعارض وتتناقض فيما بينها في القصة والحكاية الواحدة.

توفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الاخر سنة ٤٧٨ هـ وله تسع وخمسون سنة، ودفن في دارهِ إلى جانب والده.

رحم الله الامام الجويني وجزاه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

والحمد لله رب العالمين

هوامش البحث

(١) ينظر: غياث الأمم في التياث الظلم (أو ما يسمى بالغياثي)، أبو المعالي الجويني، تحقيق: عبد العظيم الديب، كلية الشريعة – جامعة قطر، ط١، ١٤٠٠هـ، ص٢٥.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوس، مؤسسة بيروت، ط ١٠، ١٩٩٤، ج١٨، ص ٦٨.

(٣) ينظر: أصول الفقه وتيسير المهمات في شرح ورقات إمام الحرمين الجويني، أحمد إدريس عبده، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، ١٩٩٧، المقدمة.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، المقدمة.

(٥) ينظر: العقد المذهب في طبقات حملة المذهب: ابن الملقن، تحقيق وتعليق: أيمن نصر الأزهري، سيد مهنى، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون سنة، ص١٠٢.

(٦) ينظر: تبيين كذب المفتري في ما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ابن عساكر، تحقيق: مصطفى حلمي وفؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة، الاسكندرية، ط١، ١٩٧٩م، ص٧٩.

(٧) ينظر: الغياثي، ص ٢٦ – ٢٨.

(٨) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٨.

(٩) ينظر: العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، ابن الملقن، تحقيق وتعليق أيمن نصر الأزهري، سيد مهنى، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون سنة، ص١٠٢.

(١٠) ينظر: الغياثي، ص ٢٨.

(١١) ينظر: طبقات الشافعية، عبد الرحمن الأسنوي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٧م، ص ١٩٧.

(١٢) ينظر: الغياثي، ص ٣١.

(١٣) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٢.

(١٤) ينظر: المصدر نفسه، ج٣/ ص ٢٥٢.

(١٥) ينظر: المصدر نفسه، ج٣/ ص ٢٥٢.

(١٦) ينظر: الغياثي، ص ٤٤.

(١٧) ينظر: متن الورقات في أصول الفقه، أبو المعالي الجويني، شرح وتبسيط، محمد حريري، ارمدني، ٢٠٠٢، ص ٥.

(١٨) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٣، ج١٠، ص ٤٢٩.

(١٩) ينظر: البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف، بيروت، ط١، ١٩٦٦، ج٢، ص١٢٨.

(٢٠) ينظر: التلخيص في أصول الفقه، أبو المعالي الجويني، تحقيق عبد الله حولم النيلي وأحمد العمري، دار الستائر الإسلامية، مكتبة دار الباز، ط١، ١٩٩٦، ج١/ ص ٣٢.

(٢١) ينظر: شرح ألفية العراقي المسماة بالتبصرة والتذكرة، الحافظ السنكي الأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج١/ ص ١٥٤.

(٢٢) ينظر: التلخيص، ج١/ ص ٣٣-٣٤.

(٢٣) ينظر: المصدر السابق، ج١/ ص٣٤.

(٢٤) ينظر: المصدر نفسه، ج ١/ ص٣٤.

(٢٥) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ج ٣/ ص٢٥٢.

(٢٦) ينظر: التلخيص، ج ١/ ص٣٥.

(٢٧) ينظر: طبقات الشافعية للأسنوي، ص ٤٨- ٤٩.

(٢٨) ينظر: البرهان في أصول الفقه، الإمام الجويني، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، ج١/ ص٣٢.

(٢٩) ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، ج ٢/ ص ٣٤١.

(٣٠) ينظر: الغياثي، ص ٣٣.

(٣١) ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، ج ٢/ ص١٦٢.

(٣٢) ينظر: الغياثي، أبو المعالي الجويني، تحقيق ودراسة: مصطفى حلمي، فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط١، ١٩٧٩، ص ١٠.

(٣٣) ينظر: الغياثي، تحقيق: عبد العظيم الديب، ص ٣٦.

(٣٤) موسوعة الأعلام والأدباء العرب والمسلمين، جابر الجيلي، دار الجيل، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥ ص ٥٨٨.

(٣٥) ينظر: الغياثي، تحقيق مصطفى حلمي، فؤاد عبد المنعم، ص ١٠-١١.

(٣٦) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ج ٤/ ص ١٠-١١.

(٣٧) سير أعلام النبلاء، ج١١/ ص ٢٥٥.

(٣٨) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ج٣/ ص ٢٤٩.

(٣٩) ينظر: التلخيص، ج ١/ ص ٣٩.

(٤٠) ينظر:الغياثي، تحقيق: عبد العظيم الديب، ص ٣٧.

(٤١) ينظر: التلخيص، ج ١/ ص ٤٢.

(٤٢) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ج٣/ ص ١٠-١١.

(٤٣) ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، ج٣/ ص ٢٨٧، والتلخيص، ج١/ ص ٤٣.

(٤٤) ينظر: التلخيص، ج ١/ ص ٤٣، وفيات الأعيان لابن خلكان، ج٣/ ص ٢٨٦.

(٤٥) ينظر: التلخيص، ج ١/ ص ٤٤، و البداية والنهاية، ج١/ ص ١٨٧.

(٤٦) ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، ج٣/ ص ٢٢٥، وطبقات الشافعية الكبرى، ج٤/ ص ٢٥٥.

(٤٧) ينظر: المصدر نفسه، ج١/ ص ٩٦، و طبقات الشافعية الكبرى، ج٤/ ص ٥٥ و البداية والنهاية، ج١٢/ ص١٦٨.

(٤٨) ينظر: الفكر الاقتصادي عند إمام الحرمين الجويني، رفيق يونس المصري، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر دمشق- سوريا، ط١، ٢٠٠١، ص ١٨.

(٤٩) ينظر: التلخيص، ج ١/ ص ٥٨.

(٥٠) ينظر: إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، منير سلطان، منشأة المعارف، ط٣، ١٩٨٦، ص٣٦.

(٥١) ينظر: الإمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد، جمال الدين بوقلي حسن، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٥، ص١٤٣.

(٥٢) ينظر: تاريخ الفكر الفلسفي عند العرب، حنا الفاخوري وخليل الحر، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢، ص ١٨٧.

(٥٣) ينظر: التلخيص، ج١/ ص٥٨.

(٥٤) ينظر: دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين (الأشاعرة)، أحمد محمود صبحي، دار النهضة العربية، بيروت، ط٥، ١٩٨٥، ص ١٤٧.

(٥٥) ينظر: سير أعلام النبلاء، ج١٨/ ص٤٧٦.

(٥٦) ينظر: مقارنة الأديان، الدكتور محمد أحمد الخطيب، دار المسيرة للطباعة والنشر، عمان – الأردن. ط٣، ٢٠١٤م – ١٤٣٥هـ، ص٨٧.

(٥٧) ينظر: اليهودية، الدكتور أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة، ط١٢، ١٩٩٧م، ص٢٣٨.

(٥٨) ينظر: مقارنة الأديان، الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل – بيروت، ط٢، ١٩٩٠م، ص١٣.

(٥٩) ينظر: ترجمان الأديان، الدكتور أسعد الحمراني، دار النفائس، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م - ١٤٣٠هـ، ص٢٠٤ – ٢٠٥.

(٦٠) ينظر: مقارنة الأديان، الدكتور محمد أحمد الخطيب ص٩٠، ترجمان الأديان ص٢٠٥.

(٦١) ينظر: اليهودية، أحمد شلبي، ص٢٥٦.

(٦٢) ينظر: مقارنة الأديان محمد أحمد الخطيب، ص٦٧.

(٦٣) ينظر: شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، الإمام الجويني، تحقيق: الدكتور أحمد حجازي السقا – المكتبه الأزهرية للتراث - مصر ٢٠٠٨، ص٦.

(٦٤) ينظر: شفاء الغليل ص٦–٧، ومقارنة الاديان: الدكتور محمد احمد الخطيب، ص٧.

(٦٥) ينظر: اليهودية، الدكتور أحمد شلبي، ص٢٣٩، والموسوعة المفصلة - مكتب البيان، إشراف: حسن عبد الحفيظ أبو الخير، دار ابن الجوزي - القاهرة -ط١، ٢٠١١م - ١٤٣٢هـ ،ج٢/ ص ١٣٤-١٣٥.

(٦٦) ينظر: الموسوعة المفصلة، ج٢ / ص ١١٠.

(٦٧) ينظر: المصدر نفسه ج٢/ ص١١٠.

(٦٨) شفاء الغليل ص ٥٥.

(٦٩) ينظر: المصدر نفسه ص ٣١ - ٣٢.

(٧٠) ينظر: المصدر نفسه ص٣٣.

(٧١) لمعرفة المزيد يراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الأندلسي، مكتبة المثنى – بغداد، ج١/ ص١١٩ وما بعدها. والتناقض في التوراة وأثره في الأعمال السلبية لليهود، حامد عيدان حمد الجبوري، دار الكتب العلمية - بيروت -ط١، ٢٠٠٧م، ١٤٢٨هـ، ص١٢١ وما بعدها. والموسوعة المفصلة، ج٢/ ص١٣٤ وما بعدها. وإظهار الحق، رحمه الله الهندي، تحقيق: عمر الدسوقي، مطبعة الرسالة – القاهرة، ج١/ ص٢١٧ وما بعدها.

(٧٢) ينظر: شفاء الغليل ص٣٤.

(٧٣) ينظر: إظهار الحق، ج١/ ص٢١٩، الموسوعة المفصلة ج٢/ ص١٣٦.

(٧٤) أي في العبرية واليونانية فقط: سنة مائة و سبع وثمانون أما في السامرية: سنة سبع و ستون ينظر إظهار الحق ج١/ ص٢١٩، الموسوعة المفصلة ج٢/ ص١٣٦.

(٧٥) ينظر: شفاء الغليل ص٣٥.

(٧٦) ينظر: إظهار الحق ج١/ ص٢١٩، الموسوعة المفصلة ج٢/ ص١٣٦.

(٧٧) ينظر: شفاء الغليل ص٣٥.

(٧٨) ينظر: شفاء الغليل ص٣٥، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، التعريب والجمع شركة ماستر ميديا - القاهرة، ص٢٢.

(٧٩) ينظر: إظهار الحق ج١/ ص٢١٩، الموسوعة المفصلة ج٢/ ص١٣٦.

(٨٠) شفاء الغليل ص٣٥.

(٨١) لمعرفة المزيد، انظر: إظهار الحق ج١/ ص ٢١٧ وما بعدها، التناقضات في التوراة ص ١٢١ وما بعدها.

(٨٢) ينظر: شفاء الغليل ص ٣٦ – ٣٧.

(٨٣) ينظر: المصدر نفسه ص ٣٧.

(٨٤) ينظر: إظهار الحق ج ١ ص٥٢.

(٨٥) ينظر: ترجمان الأديان ص٣٥٣، المسيحية - الدكتور أحمد شلبي - مكتبة النهضة - مصر- ١٩٨٨، ص٢٠٤.

(٨٦) ينظر: مقارنة الأديان - محمد أحمد الخطيب ص٢٦٤.

(٨٧) ينظر: الموسوعة المفصلة ج٢/ ص٤٦٢.

(٨٨) ينظر: إظهار الحق ج١/ ص٥٢.

(٨٩) ينظر: الموسوعة المفصلة ج٢/ ص٤٦١.

(٩٠) ينظر: المصدر نفسه ج٢ / ص٤٦١.

(٩١) ينظر: مقارنة الاديان، د. محمد احمد الخطيب ص٢٨١، الموسوعة المفصلة ج٢/ ص٤٦٢.

(٩٢) ينظر: ترجمان الاديان ص٣٥٤، الموسوعة المفصلة ج٢/ ص٤٦٣.

(٩٣) ينظر: مقارنة الاديان ص ٢٨١-٢٨٢، ترجمان الاديان ص٣٥٤، الموسوعة المفصلة ج٢/ ص٤٦٣.

(٩٤) ينظر: مقارنة الاديان ص٢٨٤.

(٩٥) ينظر: المسيحية، الدكتور احمد شلبي ص٢٠٨.

(٩٦) ينظر: ترجمان الاديان ص٣٥٣.

(٩٧) ينظر: المسيحية، الدكتور احمد شلبي ص٢١٢-٢١١، مقارنة الاديان، محمد احمد الخطيب ص٢٧١.

(٩٨) ينظر: المسيحة الدكتور احمد شلبي ص٢١٢، مقارنة الاديان محمد احمد الخطيب ص٢٧٢-٢٧٣، ترجمان الاديان ص٣٥٣.

(٩٩) ينظر: مقارنة الاديان، محمد احمد الخطيب ص٢٧٣.

(١٠٠) ينظر: المسيحية، د. احمد شلبي ص٢١٦.

(١٠١) ينظر: المصدر نفسه ص٢١٧، مقارنة الاديان، د. محمد احمد الخطيب ص٢٧٤-٢٧٥.

(١٠٢) ينظر: الموسوعة المفصلة ج٢/ ص ٤٧٧.

(١٠٣) ينظر: شفاء الغليل ص٣٨.

(١٠٤) ينظر: المصدر نفسه ص٣٨ – ٤١.

(١٠٥) ينظر: إنجيل متّى، الإصحاح ١، الآية ١٧.

(١٠٦) ينظر: شفاء الغليل ص٤٢.

(١٠٧) ينظر: المصدر نفسه ص٤٥.

(١٠٨) إنجيل مرقس، الإصحاح ١٤، الآية ٣٠.

(١٠٩) إنجيل مرقس، الإصحاح ١٤، الآية ٦٦ – ٧٢.

(١١٠) ينظر: شفاء الغليل ص٤٧.

(١١١) إنجيل لوقا، الإصحاح ٢٢، الآية ٣٤.

(١١٢) إنجيل لوقا، الإصحاح ٢٢، الآية ٥٤ – ٦٠.

(١١٣) ينظر: شفاء الغليل ص٤٩.

(١١٤) ينظر: المصدر نفسه ص٤٩

(١١٥) أي أنثى الحمار. ينظر: لسان العرب، ابن المنظور، دار صادر ٢٠٠٣م، ج١/ ص٤٩، مادة (أتن).

(١١٦) إنجيل متى، الإصحاح ٢١، الآيات ٢ – ٧.

(١١٧) إنجيل مرقس، الإصحاح ١١، الآيات ٢ – ٧.

(١١٨) إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٢، الآية ١٤.

(١١٩) ينظر: شفاء الغليل ص٥٠.

(١٢٠) إنجيل متى، الإصحاح ٢٧، الآيات ٣٨ – ٤٤، إنجيل مرقس، الإصحاح ٥، الآيات ٢٧ – ٣٢.

(١٢١) ينظر: إنجيل لوقا، الإصحاح ٢٣، الآيات ٣٣ – ٤٣.

(١٢٢) ينظر: شفاء الغليل ص٥٢.

(١٢٣) ينظر: إنجيل متى، الإصحاح ٢٧، الآيات ٥١ – ٥٣. ينظر: شفاء الغليل، ص٥٢.